معهد الميراث النبوي

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَبْدَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى بِدِرَاسَةِ مُخْتَصَرٍ فِي عِلْمِ الْعَقِيدَةِ مُهِمٍّ وَمُفِيدٍ، وَلَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْزِلَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعْلُومَةٌ، هَذَا الْمُخْتَصَرُ هُوَ «الْأُصُولُ الثَّلاَثَةُ»، تَأْلِيفُ شَيْخِ الْإِسْلاَمِ بِحَقٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ السَّلَفِيِّ الْمَوْلُودِ سَنَةَ خَمْسَةَ عَشْرَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَمِئَتَيْنِ وَأَلْفٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

هَذَا الْعَالِمُ الْجَلِيلُ وُلِدَ بِالْعُيَيْنَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ عَالِمًا كَبِيرًا مَشْهُورًا بِعِلْمِهِ، وَكَانَ جَدُّهُ عَالِمَ نَجْدٍ فِي زَمَانِهِ، اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَ الْأَحَادِيثَ وَلَازَمَ الْعُلَمَاءَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ فِي التَّحَرُّرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَمَرَّ فِي مُلَازَمَةِ الْعُلَمَاءِ وَالرِّحْلَةِ إِلَيْهِمْ فَأَخَذَ عَنْ سُلَّةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ –رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ–.

لَهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، وَكَشْفُ الشُّبُهَاتِ، وَالْأُصُولُ السِّتَّةُ، وَالْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعَةُ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُفِيدَةِ الَّتِي شَهِدَ لَهُ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِالْعِلْمِ وَالْإِتْقَانِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ وَحُسْنِ الْمَقْصِدِ وَبِاتِّبَاعِ الدَّلِيلِ –رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً–.

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ تَرْجَمَتُهُ مَشْهُورَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ عِنْدَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

وَكِتَابُهُ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» –كَمَا سَبَقَ– هُوَ رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ، صَغِيرَةُ الْحَجْمِ، لَكِنَّهَا كَبِيرَةُ الْمَعَانِي وَالْفَوَائِدِ، كَانَ الْعُلَمَاءُ يُحَفِّظُونَهَا طُلَّابَ الْعِلْمِ، بَلْ حَتَّى الْعَوَامُّ كَانَ الْعُلَمَاءُ يُحَفِّظُونَهُمْ هَذِهِ الْمُتُونَ، خُصُوصًا «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ»، وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ يَحُثُّهُ عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي، وَأَنَّ يُحَفِّظَهَا أَئِمَّةُ

الْمَسَاجِدِ لِلْعَوَامِّ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْعَوَامُّ فِي تِلْكَ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ كَانُوا يَحْفَظُونَ «الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ»، وَكَانُوا يَرُدُّونَ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِيَّاتِ؛ لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا هَذِهِ الْأُصُولَ وَفَهِمُوهَا، فَرَدُّوا عَلَى أَيِّ شُبْهَةٍ يُثِيرُهَا بَعْضُ الْقُبُورِيِّينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ مِمَّا فَهِمُوهُ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَضَمَّنَتِ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ: الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ.

كَمَا تَضَمَّنَتْ بَيَانَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَالتَّوْحِيدِ بِأَنْوَاعِهِ، وَبَيَانَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَبَيَانَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ.

مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ؟!

مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟!

الْأَسْئِلَةُ الَّتِي يُسْأَلُهَا الْمَرْءُ فِي قَبْرِهِ، جَعَلَهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– وَبَنَى عَلَيْهَا هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ؛ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

وَلَيْسَ مَقْصُودُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– حَصْرَ الْأُصُولِ فِي ثَلَاثَةٍ، لِأَنَّ لَهُ «الْأُصُولُ السِّتَّةُ»، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ

الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ هِيَ أُصُولٌ مُهِمَّةٌ وَمُلِمَّةٌ لِلْعِلْمِ، وَأُصُولٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ حَفِظَهَا وَفَقِهَهَا وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهَا؛ لِذَلِكَ أَحُثُّ طَلَبَةَ الْعِلْمِ وَحَتَّى عَامَّةَ النَّاسِ، أَحُثُّهُمْ عَلَى حِفْظِهَا، وَعَلَى سَمَاعِ أَشْرِطَةِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرْحِهَا، فَقَدْ شَرَحَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَرَحُوهَا وَكُتُبُهُمْ مَطْبُوعَةٌ: شَرَحَهَا الْعَلاَّمَةُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ، وَكَذَا الْعَلاَّمَةُ الْعُثَيْمِينَ، وَكَذَا الْعَلاَّمَةُ النَّجْمِيُّ، وَالْعَلاَّمَةُ مُحَمَّد أَمَان الْجَامِيّ، وَالْعَلاَّمَةُ زَيْدٌ الْمَدْخَلِيُّ، وَأَيْضًا هُنَاكَ حَاشِيَةٌ نَفِيسَةٌ لِابْنِ قَاسِمٍ عَلَى «الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ شَرَحُوهَا، وَمَا زَالُوا إِلَى الْيَوْمِ يَشْرَحُونَهَا تُسَجَّلُ وَتُطْبَعُ فِي كُتُبٍ، مُتَدَاوَلَةٍ بَيْنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

وَهَذَا -كَمَا يُنَبِّهُ الْعُلَمَاءُ- أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي يُشْرَحُ وَيَتَتَابَعُ الْعُلَمَاءُ عَلَى شَرْحِهِ يَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ:

مِنْهَا أَنَّهُ كِتَابٌ مُهِمٌّ وَكِتَابٌ عَظِيمٌ.

وَمِنْهَا أَنَّ كَثْرَةَ الشُّرُوحِ عَلَى الْكِتَابِ الْوَاحِدِ تُعِينُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَتُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى فَهْمِ هَذَا الْكِتَابِ.

وَمِنْهَا تَسْهِيلُ وَبَسْطُ الشَّرْحِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ بِحَيْثُ يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ كُلُّ مُؤَلِّفٍ وَشَارِحٍ الْفَوَائِدَ وَالْحِكَمَ وَالْمَسَائِلَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– .

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ «الْأُصُولُ الثَّلاَثَةُ» الَّتِي أَلَّفَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ، سَارَ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ، بَنَاهَا عَلَى الدَّلِيلِ حَالَ جَمِيعِ مُؤَلَّفَاتِهِ الَّتِي حَرِصَ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ، وَالَّتِي يُرَبِّي فِيهَا طَالِبَ الْعِلْمِ عَلَى طَلَبِ الدَّلِيلِ وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَعَلَى التَّسْلِيمِ لِلْحَقِّ وَعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ، وَعَلَى طَلَبِ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ كَمَا سَبَقَ.

وَنَحْنُ نَفْتَقِرُ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ طَلَبَ الدَّلِيلِ وَطَلَبَ الْحُجَّةِ نُورٌ عَلَى نُورٍ، وَطَلَبَ الدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ يُنِيرُ لَنَا الطَّرِيقَ وَيَجْعَلُنَا عَلَى بَصِيرَةٍ، وَطَلَبَ الدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ يُذْهِبُ الْفِتَنَ، وَيَرْدَعُ الْبِدَعَ وَالضَّلاَلاَتِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَ بِالدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ وَالْعِلْمِ الْمَبْنِيِّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا فَقَوْلُهُ إِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ، وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لَا يُعْلَمُ حَقٌّ أَمْ بَاطِلٌ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ:

«قَرَّرَتْ ثَلاَثَةُ الْأُصُولِ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلاَمِ، وَلَكِنْ قِفْ عِنْدَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ،

وَاطْلُبْ مَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُمْكِنُ الْعِلْمُ إِلَّا أَنَّكَ تَقِفُ عِنْدَ كُلِّ مُسَمًّى مِنْهَا» اهـ. كَمَا نَقَلَهُ بَعْضُ شُرَّاحِ «الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ».

إِذَنْ؛ إِخْوَانِي -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- سَنَتَدَارَسُ هَذَا الْمَتْنَ وَنَقِفُ مَعَ مَسَائِلِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ –رَحِمَكَ اللهُ– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

قَالَ الشَّافِعِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ».

الشَّرْحُ

هَذِهِ الْجُمَلُ الْمُفِيدَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– سَنَقِفُ مَعَهَا جُمْلَةً جُمْلَةً.

قَوْلُهُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ابْتَدَأَ الْكَلاَمَ، وَابْتَدَأَ الرِّسَالَةَ بِالْبَسْمَلَةِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ اقْتِدَاءً بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، حَيْثُ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهِ، وَأَيْضًا جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْكَلاَمِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِـ{بِسْمِ اللهِ} فَهُوَ أَبْتَرُ» وَفِي لَفْظٍ: «أَقْطَعُ» أَوْ «أَجْزَمُ»، فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» فَلاَ يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْسُبَ هَذَا الْحَدِيثَ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَإِنِ اشْتَهَرَ وَتَدَاوَلَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ أَنْ يُعَوِّدَ طَالِبُ الْعِلْمِ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا يَرُدَّ الْحَقَّ لِمَعْلُومَاتٍ سَابِقَةٍ عِنْدَهُ، وَأَنْ يَتَجَرَّدَ لِلْحَقِّ، نَعَمْ قَدْ تَكُونُ تَعَلَّمْتَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَسَنٌ أَوْ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ بَعْدَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ وَالتَّتَبُّعِ لِطُرُقِهِ كَمَا قَامَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» وَجَزَمَ بِضَعْفِهِ مِنْ كُلِّ طُرُقِهِ.

فَلاَ يَسُوغُ لَكَ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَّا مُحَذِّرًا مِنْهُ وَمُبَيِّنًا ضَعْفَهُ، وَنَكْتَفِي بِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْقُرْآنِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، وَأَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ كَانَ يَكْتُبُ الْبَسْمَلَةَ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ.

قَوْلُهُ: «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ» اعْلَمْ: أَيْ: تَيَقَّنْ وَاجْزِمْ، وَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ شَكٌّ.

وَالْإِتْيَانُ بِكَلِمَةِ «اعْلَمْ» تُفِيدُ الِانْتِبَاهَ وَالتَّنْبِيهَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِلْمَسَائِلِ الَّتِي سَيَذْكُرُهَا، وَهِيَ مَسَائِلُ حَقِيقٌ أَنْ يُهْتَمَّ بِهَا، وَأَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَأَنْ تُحْفَظَ.

ثُمَّ دَعَا لَهُ بِأَنْ يَرْحَمَهُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ تَرْبِيَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، أَنْ يَدْعُوَ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَدْعُوَ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْعَالِمِ، الْعَالِمُ يَحْرِصُ عَلَى الْخَيْرِ وَعَلَى النَّفْعِ، وَعَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْتَنِيرًا بِالْحَقِّ، عَامِلاً بِهِ.

وَأَمَّا الْغِلْظَةُ وَالْفَظَاظَةُ وَالشِّدَّةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَلَيْسَتْ مِنَ الْحَقِّ، وَلَيْسَتْ مِنْ مَسْلَكِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ–.

فَقَدْ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ض عِنْدَمَا يَرَى طُلَّابَ الْعِلْمِ يَحْتَفُّ بِهِمْ، وَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَسْأَلُونَ عَنْ أَحْوَالِ طُلَّابِهِمْ وَيَهْتَمُّونَ بِهِمْ.

لِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– نَجِدُ عِنْدَهُ هَذَا الْأُسْلَوبَ وَهَذِهِ الرَّحْمَةَ وَهَذِهِ الشَّفَقَةَ فِي غَالِبِ كُتُبِهِ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

قَالَ: «اعْلَمْ –رَحِمَكَ اللهُ– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ».

قَوْلُهُ: «يَجِبُ عَلَيْنَا»؛ أَيْ: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ وَأَنْ يُتْقِنَهَا؛ لِأَنَّهَا مِمَّا أَمَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِتَعَلُّمِهَا، وَلِأَنَّهَا مِمَّا يَقُومُ عَلَيْهِ دِينُ الْمَرْءِ، فَلاَ يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَجْهَلَهَا فَضْلاً عَنْ أَنْ يَتَجَاهَلَهَا وَأَنْ لَا يَهْتَمَّ بِهَا.

هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْمَسَائِلُ يُبَيِّنُ لَنَا شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّهَا مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ، كَمَا تَجِبُ عَلَيْكَ بَعْضُ الْعِبَادَاتِ، فَتَعَلُّمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ يَا عَبْدَ اللهِ وَيَا أَمَةَ اللهِ.

مَا هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى؟!

قَالَ: «الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلاَمِ بِالْأَدِلَّةِ».

وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَيِ: الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ: مَعْرِفَةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ؛ أَنْ تَعْرِفَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ وَالْمَخْلُوقِينَ كُلَّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْغَنِيُّ، فَتَعْرِفُهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَتَعْرِفُهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ بِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ تُصْرَفَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، قَوْلًا وَفِعْلاً، وَاعْتِقَادًا. هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– .

قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ}.

وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَأَنَّ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ، نُؤْمِنُ بِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا كَمَا أَثْبَتَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فِي كِتَابِهِ، وَأَثْبَتَهَا الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سُنَّتِهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

وَمِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَعَلَّمَهُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ؛ لِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَأَنَّهُ بَشَرٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُوحَى إِلَيْهِ، فَيُطَاعُ فِيمَا أَمَرَ، وَيُجْتَنَبُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَيُصَدَّقُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا أَخْبَرَ.

وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبَلَّغَهُ أَتَمَّ الْبَلاَغِ وَأَكْمَلَهُ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.

فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَتَدَبَّرَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْأُولَى، وَالَّتِي سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ الْكَثِيرُ مِنْ تَفَاصِيلِهَا فِي الْأُصُولِ الثَّلاَثَةِ حِينَ يَتَكَلَّمُ عَنْهَا شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ، فَإِنَّهُ ذَكَرَهَا هُنَا إِجْمَالًا وَسَيُفَصِّلُهَا فِيمَا يَأْتِي.

ثُمَّ قَالَ: «الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ» لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَنْ تَتَبَاهَى وَأَنْ تَطْغَى بِهِ عَلَى النَّاسِ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَنْ تُذْكَرَ وَأَنْ يُرْفَعَ شَأْنُكَ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَأَنْ تَمْتَثِلَ أَوَامِرَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ.

فَإِنَّ الْإِيمَانَ كَمَا يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ خَيْرًا قُبِلَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ شَرًّا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ».

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ يَقُودُ إِلَى الْعَمَلِ، وَجَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: «هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ».
لَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَ بِالْعِلْمِ.

وَمِنْ أَبْرَزِ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِلْمِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُكَ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَأَنْ لَا تُرَاقِبَ النَّاسَ، وَأَنْ لَا تَعْمَلَ لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا تُرَاقِبُ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– .

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ فِي مُتَابَعَةِ سُنَّةِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ؛ فِي شَأْنِهِ وَأَحْوَالِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–.

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ تَقِيًّا نَقِيًّا، لَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ وَلَا أَذًى، وَإِلَّا مَنْ يَتَعَلَّمُ أَنَّ أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ وَيُؤْذِيهِمْ، مَا فَائِدَةُ الْعِلْمِ حِينَهَا؟! يَكُونُ الْعِلْمُ حُجَّةً عَلَيْهِ لَا حُجَّةً لَهُ.

مَنْ يَتَعَلَّمُ أَنَّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا غُرَبَاءُ، فَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ، ثُمَّ يُنَاصِرُ أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي الْعِلْمِ هَذَا؟!

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ لَوْ قَامَ بِهِ أَهْلُهُ، وَاللَّهِ لَقَلَّتِ الْفِتَنُ، وَلَوْ قَامَ بِهِ أَهْلُهُ، لَتَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ هِيَ فِتَنٌ وَابْتِلَاءٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، يَتَعَلَّمُ الْمَرْءُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَيَتَعَلَّمُ الْآخَرُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ حُجَّةً لَهُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ.

وَلِذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْعَالِمِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا عَامِلاً، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ ثُمَّ نَجِدُ فِي أَعْمَالِهِ الْخُبْثَ وَالْأَذِيَّةَ وَالْفَسَادَ وَالتَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَجِدُ فِي أَعْمَالِهِ تَحْزِيبَ الْمُسْلِمِينَ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِعَالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْهُ الْعِلْمُ، فَمَا بَالُكَ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ لَا يُعَدُّ طَالِبَ عِلْمٍ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ.

فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ عِلْمِهِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ.

إِذَنْ؛ فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنَ الْعَمَلِ.

لِمَاذَا الْعِلْمُ؟! لِمَاذَا لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ؟!

حَتَّى لَا تَتَكَلَّمَ فِي دِينِ اللهِ إِلَّا بِبَصِيرَةٍ، فَلاَ تَكْثُرْ أَخْطَاؤُكَ، وَلَا تَكْثُرْ مُخَالَفَاتُكَ، فَإِنَّ الْخَطَأَ الَّذِي مِثْلُهُ لَا يُحْتَمَلُ مِنْ طَالِبِ الْعِلْمِ جَهْلُهُ يُؤَثِّرُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي قِيمَةِ هَذَا الْمُخْطِئِ، وَفِي بُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ، فَمَا بَالُكَ حِينَمَا يُخْطِئُ فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَمَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالشِّرْكِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَنْهَجِ؟!

هِيَ مَسَائِلُ وَاضِحَاتٌ ظَاهِرَاتٌ يَفْهَمُهَا طُلاَّبُ الْعِلْمِ الصِّغَارُ قَبْلَ الْكِبَارِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا إِمَّا أَنَّهُ لَمْ يُحَصِّلِ الْعِلْمَ بِطَرِيقَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَإِمَّا أَنَّهُ قَدِ انْحَرَفَ وَزَاغَ قَلْبُهُ عَنِ الْحَقِّ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

ثُمَّ الثَّالِثَةُ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ وَأَنْ تَعْمَلَ لَا بُدَّ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى الْعِلْمِ، أَنْ تُعَلِّمَ النَّاسَ بِحَسْبِ اسْتِطَاعَتِكَ، مَا تَعَلَّمْتَهُ لَا مَانِعَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَأَنْ تُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ أَمْرٍ مُهِمٍّ، وَهُوَ: أَنَّ بَيَانَكَ وَنَقْلَكَ لِلْحَقِّ وَلِلْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ لِلْعُلَمَاءِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَتْوَى وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ، فَلَوْ تَعَلَّمْتَ مَثَلاً عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ أَنَّ قَوْلَ «وَالنَّبِيِّ» لَا يَجُوزُ، وَأَنَّ قَوْلَ «وَالنَّبِيِّ» مِنَ الشِّرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**» وَقَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

فَعِنْدَمَا تَسْمَعُ هَذَا، وَتَسْمَعُ رَجُلاً آخَرَ يَقُولُ: وَالنَّبِيِّ. فَهُنَا تَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي، اتَّقِ اللهَ، لَا تَقُلْ: وَالنَّبِيِّ. قُلْ: وَاللَّهِ. أَوْ: لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، ثُمَّ تَذْكُرُ لَهُ الْأَدِلَّةَ الَّتِي سَمِعْتَهَا.

هَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ، هَذَا مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ. فَهَذَا لَا مَانِعَ مِنْهُ.

لِأَنَّنَا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلأَسَفِ يَرَى خَطَأً وَيَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَعْرِفُ الدَّلِيلَ، وَلَكِنْ يَسْكُتُ، فَتَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا لَمْ تُنْكِرْ؟ يَقُولُ: يَا أَخِي، لَسْتُ عَالِمًا، هَذَا خَطَأٌ.

هَذِهِ شُبْهَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ لِكَيْ لَا تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْلَمُوا –بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ– أَنَّنَا إِذَا تَعَلَّمْنَا مَسْأَلَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ بِدَلِيلِهَا، وَوَجَدْنَا مَنْ يُخْطِئُ فِيهَا، أَنَّهُ يُشْرَعُ لَنَا أَنْ نُنَبِّهَهُ، وَأَنْ نَدُلَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ نُرْشِدَهُ إِلَى الْخَيْرِ.

وَأَمَّا الاِشْتِغَالُ بِالْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَطُرُقِ الاِسْتِدْلَالِ، وَالْمُنَاقَشَاتِ وَالْمُنَاظَرَاتِ وَإِيرَادِ الْحُجَجِ، فَهَذِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَلِطُلاَّبِ الْعِلْمِ الْمُتَمَكِّنِينَ فِي عِلْمِهِمْ، فَلاَ مَانِعَ، أَمَّا الْعَوَامُّ فَلاَ يَخُوضُونَ فِيهَا.

فَإِذَنْ؛ يَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ دَقَائِقِ الْمَسَائِلِ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَلَقَّيْنَاهَا عَنِ الْعُلَمَاءِ بِأَدِلَّتِهَا، فَالْعَامِّيُّ يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، وَلَكِنْ لَا يَخُضْ فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ.

وَأَيْضًا مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ: أَنَّ الْعَامِّيَّ وَالْعَالِمَ إِذَا جَاءَ فِي مَسْأَلَةٍ لَا يَعْرِفُ دَلِيلَهَا، وَلَا يُحْسِنُهَا، فَلاَ يَتَكَلَّمُ فِيهَا، يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ فِيهَا، وَلَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ لَقَلَّ الْخِلاَفُ، وَلَوْ قَالَ مَنْ لَا يَدْرِي: لَا أَدْرِي. لَسَلِمَ. وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنَ الْفَتْوَى فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الَّذِي يُفْتِي دَائِمًا، وَيَحْرِصُ عَلَى الْفَتْوَى، وَيَتَصَدَّرُ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ وَيُشْهَدَ لَهُ، تَجِدُ عِنْدَهُ التَّخَبُّطَاتِ، وَتَجِدُ عِنْدَهُ كَثْرَةَ الْأَخْطَاءِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَلاَ بُدَّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الصَّحِيحِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ؛ لِيَنْتَشِرَ الْحَقُّ، وَيَظْهَرَ دِينُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، فَإِذَا دَعَوْتَ النَّاسَ، وَبَيَّنْتَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِلأَذَى، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى الْأَذَى، فَهَذَا نَبِيُّ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أُوذِيَ، وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُلَّ الْحِرْصِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَمَعَ ذَلِكَ أُوذِيَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُؤْذَى، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلأَذَى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ.

وَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلأَذَى وَأَنْ يَسْلُكَ غَيْرَ السَّبِيلِ الصَّحِيحِ، فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَاكِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسُ فَيُؤْذَى فِي دَعْوَتِهِ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْمَلُ أَعْمَالًا غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ يَدْعُو إِلَى اللهِ فَيُؤْذَى وَأَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ، لَا. أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ بِهِ، وَتَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ، فَأُوذِيتَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلُزُومِكَ لِلْحَقِّ، فَاصْبِرْ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

فَاصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَالْزَمِ الصَّبْرَ، لِمَاذَا يُؤْذُونَكَ؟

لِأَنَّكَ تَدْعُو النَّاسَ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ جَانِبَيْنِ:

مِنْ جَانِبِ الشَّهَوَاتِ، فَأَهْلُ الدُّنْيَا يَرْفُضُونَكَ، يَرْفُضُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَيُبْغِضُونَكَ.

وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ أَيْضًا يَرْفُضُونَكَ، وَيَرْفُضُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَيُحَارِبُونَكَ وَيُؤْذُونَكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْمَلُ لِلَّهِ، لَا لِنَفْسِكَ، فَمَا تَتَعَرَّضُ فِيهِ مِنَ الْأَذَى لِلَّهِ، فَمَا أَحْلَاهُ! وَمَا أَلَذَّهُ وَأَطْعَمَهُ! لِأَنَّهُ فِي ذَاتِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– .

وَلِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تَغْضَبُ إِنْ أُوذِيتَ فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تُرَاجِعَ: هَلْ تَدْعُو إِلَى اللهِ أَمْ تَدْعُو إِلَى نَفْسِكَ.

فَلِذَلِكَ نَبَّهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى.

نَعَمْ، الْأَذَى يُصِيبُ الْمُسْلِمَ حَتَّى مِنْ بَعْضِ مَنْ هُوَ عَلَى قُرْبٍ مِنْهُمْ؛ إِمَّا حَسَدًا وَإِمَّا ظُلْمًا وَإِمَّا بَغْيًا.

قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا لَكَ فِي الْمَنْهَجِ، وَيَدْعُو إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تَتَلاعَبُ بِهِ الشَّيَاطِينُ، فَيَقَعُ فِي الْحَسَدِ فَيُؤْذِيكَ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ، وَيُحَذِّرُ مِنْكَ، وَيُبْغِضُكَ، وَيَتَقَوَّلُ عَلَيْكَ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا نَبِيهًا حَرِيصًا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَبْعُدَ عَنْ طُرُقِ الرَّدَى وَسُبُلِ الْهَوَى.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى» هَكَذَا يُرَبِّي طَلَبَةَ الْعِلْمِ عَلَى الدَّلِيلِ، وَقَبْلُ قَالَ: «الْأُولَى: الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ» بِالدَّلِيلِ، وَهُنَا أَيْضًا يَقُولُ: «وَالدَّلِيلُ»؛ أَيْ: عَلَى مَا سَبَقَ.

قَالَ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}».

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعَةِ كَالتَّالِي:

أَمَّا الْعِلْمُ، فَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} فَبِمَاذَا آمَنُوا؟! عَلِمُوا مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَآمَنُوا. {وَعَمِلُوا} بِمَاذَا عَمِلُوا؟ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا. فَإِذَنْ؛ هَذَا دَلِيلُ الْعِلْمِ.

وَأَمَّا الْعَمَلُ بِهِ، فَهُمْ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا، وَأَيْضًا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَأَنَّهُمْ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَإِذَنْ؛ هَذَا دَلِيلُ الْعَمَلِ بِهِ.

وَأَمَّا الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، فَدَلِيلُهَا التَّوَاصِي بِالْحَقِّ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى، فَدَلِيلُهَا: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

إِذَنْ؛ هَذِهِ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَالدَّعْوَةُ وَالصَّبْرُ، مَعَ ظُهُورِهَا، إِلَّا أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ يُرَبِّينَا -نَحْنُ طَلَبَةَ الْعِلْمِ- عَلَى الدَّلِيلِ، كُلُّ مُفْسِدٍ وَفَتَّانٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوقِفَ فِتْنَتَهُ وَإِفْسَادَهُ بِأَنْ تَقُولَ لَهُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ مَا الْحُجَّةُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ هَرَبَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ كَذَّابٌ فَتَّانٌ، وَإِنْ أَتَى بِالْحُجَّةِ وَكَانَتْ حُجَّةً ثَابِتَةً، وَكَانَ الْحَقُّ ظَاهِرًا فَيَجِبُ قَبُولُهُ، وَإِلَّا قَوْلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»؛ يَعْنِي الشَّافِعِيُّ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ سُورَةَ الْعَصْرِ مِنْ حَيْثُ دِلَالَتِهَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ هِيَ حُجَّةٌ كَافِيَةٌ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُنْزِلُ اللهُ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ فَقَطْ، لَا، وَإِنَّمَا «إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ» فِي هَذِهِ الْمَعَانِي: الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}.

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ {فَاعْلَمْ}.

قَبْلَ الْقَوْلِ {لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ}.

وَالْعَمَلِ بِالِاسْتِغْفَارِ.

فَمَنْ عَمِلَ بِلاَ عِلْمٍ -كَمَا يَقُولُ السَّلَفُ- كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ.

وَقَالُوا: كَيْفَ يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ؟!

وَمَنْ عَمِلَ بِلاَ عِلْمٍ أَشْبَهَ حَالَ النَّصَارَى الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالَّذِينَ تَرَهَّبُوا وَابْتَدَعُوا رَهَبَانِيَّةً، وَاشْتَغَلُوا بِالْعِبَادَةِ وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِالْعِلْمِ، الْعَمَلُ مَطْلُوبٌ، الْعِبَادَةُ مَطْلُوبَةٌ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَى عِلْمٍ، فَلِذَلِكَ قَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَهَذَا فِيهِ رَدٌّ عَلَى الْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَدْعُو النَّاسَ بِلاَ عِلْمٍ، فَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ يَنْبَغِي أَنْ تَدْعُوَ نَفْسَهَا أَوَّلًا إِلَى الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَهَا.

وَأَيْضًا فِي هَذَا الْقَوْلِ: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يَتَصَدَّرُونَ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلُوا عِلْمِيًّا.

قَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

أَيْ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– بَدَأَ بِالْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: {فَاعْلَمْ} قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}.

مَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُشِيرَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ؟!

يُرِيدُ أَنْ يُرَكِّزَ عَلَى قَضِيَّةِ الْعِلْمِ، وَأَنْ تَكُونَ الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ هِيَ نِبْرَاسٌ وَضِيَاءٌ وَنُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْمُسْلِمُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– .

فَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، فَمَا هِيَ الْبَصِيرَةُ؟

هِيَ الْعِلْمُ وَالْحُجَّةُ وَالْحِكْمَةُ.

{أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، فَإِنْ كُنْتَ مُتَّبِعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَاطْلُبِ الْحُجَّةَ، وَاحْذَرْ –بَارَكَ اللهُ فِيكَ– مِنْ جَعْلِ الْحُجَّةِ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ لَكُمْ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ عُمَرُ.

إِذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– لَا يَرْتَضِي بِقَوْلِ أَحَدٍ مَعَ قَوْلِ اللهِ، وَقَوْلِ رَسُولِهِ؛ يَعْنِي: مَعَ الْحُجَّةِ، فَكَيْفَ نُقَدِّمُ قَوْلَ زَيْدٍ أَوْ عُبَيْدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، إِنَّ هَذَا هُوَ التَّعَصُّبُ فِي صُورَةِ الِاتِّبَاعِ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْجَهْلُ وَالِانْحِرَافُ فِي صُورَةِ الِاهْتِدَاءِ لِلْحَقِّ، مَوَازِينُ مَعْكُوسَةٌ وَمَقْلُوبَةٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ تَأْتِيهِمْ بِالْحَقِّ فَيَقُولُ لَكَ: لَا. قَالَ فُلَانٌ. نَحْنُ لَسْنَا أَعْلَمَ مِنْهُ!

يَا أَخِي، طَيِّب فُلاَنٌ أَعْلَمُ مِنْ (قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-)؟!

يَا أَخِي، فُلاَنٌ هَلْ قَوْلُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْحُجَّةِ؟!

وَاللَّهِ لِلأَسَفِ نَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ، مَهْمَا تَأْتِيهِ مِنْ آيَةٍ يُعْرِضُ عَنْهَا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- .

فَنَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَنَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحُجَّةَ، وَمِمَّنْ يَسِيرُ عَلَى الْحُجَّةِ عَلَى الدَّلِيلِ، وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْبَاطِلِ.

فَاحْرِصُوا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- فِي كُلِّ أَمْرِكُمْ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، عَلَى لُزُومِ السُّنَّةِ، عَلَى لُزُومِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.